في معرض إيمي نمر

اتيحت لي مشاهدة آثار السيدة الفنانة إيمي نمر في المعرض الخاص بصورها ، فسرني اني لم أحرم مشاهدة هذا المعرض الفذ وعددت من حظي الكبير ادراكه قبيل انقضائه

فهذه سيدة شرقية ذات نصيب واثر من الثقافتين العامة والفنية تبرز آثارها القوية للعيان فتسترعي حفاوة النقاد الخبيرين وبينهم ولديمار جورج وبول فيرز وماريشال وأندريه سالمون وأندريه وارنود ولورنس بنيون ، وتثبت جدارتها بالعرض في لندن وباريز قبل العرض في القاهرة . وقد بلغت الآن بعد جهود عشر سنوات أو أكثر درجة عظيمة من الشخصية المتميزة في فنها قوامها ذوقها الخاص الى جانب نضوجها في التعبير المستقل ، فكيف لا نأبه لفنها وكيف لا نفخر به ؟

لقد بدأت إيمي نمر في تصويرها الاول بالمشاهد المبسطة والصور السطحية مع شغف بالألوان الزاهية كتصويرها لليهود في فلسطين ، ثم أخذت تتحول عن ذلك رويداً الى أن صار فنها أخيراً بمثابة رد فعل لنزعتها الاولى ، فاذا به الآن يعنى بالحجم والمتانة والضخامة ، واذا بالألوان الهادئة أو القاتمة تحل محل الألوان الزاهية القديمة ، واذا بالشخصية المرسومة من انسان وحيوان ونبات هي المسيطرة على المظاهر ، واذا بالروح وقوة التكييف غاية ما يرمي اليه فنها وليست الصبغة أو الشكل . فتحص أزاء هذه العوامل بأن التعابير المرسومة التي تتجلى لك سمتها من داخل الصور وليست مستمدة من مظاهر عرضية ، فهي تعابير ثابتة مصورة ذات روحانية محسوسة . وهذه الموهبة ليست بارزة في صورها القديمة ولكنها مدروسة ناطقة في صورها الحديثة . وقد يلوح التشابه في كثير من موضوعاتها ، ولكنها ككل فنان أصيل تهمها كيفية التعبير قبل أن يهمها الموضوع ، وقد يصدف غير الخبير بالفن عن موضوعاتها البسيطة في تصويرها الفاكهة مثلاً وان يكن تصويراً كلهُ قوة يكاد يجعلها تلمس وتشم وتتذوق ، ولكن سيزان Cézanne العظيم تجلى فنهُ الرائع في تصوير الفاكهة بقدر ما تجلى في موضوعات أخرى . وقد يتمعض بعض النظارة لتجرد الصور من الرمزية ، ولكن من عادة الفن النقي تصويراً كان أم شعراً الابتعاد عن الرمزية ، فلن يعيبها ذلك

في هذا المعرض البديع عشرات من الصور وقد قسمت الى أربعة أقسام مختلفة :

(١) صور لرؤوس آدمية (٢) صور لفاكهة (٣) صور لمجموع مختارة (٤) رسوم قلمية . ولكن الروح فيها جميعاً واحدة ، فان ايمان صاحبتها بما للاشعة والظلال من قوة خالقة جعلتها تترك لها تكوين الاشكال وتجسيمها ولم تفكر لحظة في اعتبارها اعتباراً ثانوياً فهي عندها بمثابة الروح الذي يكيف المظهر . وإيمان صاحبتها بتجسيم الفكرة جعلها تتعلق بالضخامة في التصوير ، ثم ان ارتياحها الآن الى الالوان القاتمة جعلها تبدع في اختيار الالوان المعبرة سواء للفاكهة أو للوجوه الآدمية بازاء الارضية القاتمة وليس هذا أمراً سهلاً بأي حال . ولعل من أبرع الشواهد على ذلك صورة

« الإعياء » في وجه السيدة المطرقة بحظها فقد أبدعت في اختيار اللون الاخضر القاتم بصفة خاصة لإبراز معنى « الاعياء » في ما يوحيه تركيب الصورة . ومن الصور الفريدة تلك التي تمثل معنى الأناقة والازدواء ، فقد ظهر النور الخافت في جانب منها في قوس ممدود وقبة الظل في الجانب الآخر مقابلة طبيعية جميلة فكان النور والظل هما المكيفين للصورة ولمعناها ، ولم يكن ذلك من أثر رسم آلي هو أبعد ما يكون عن طبيعة فناننا في نضوجها الحاضر وما من شك في أن الرسوم القلمية في مجلها فاتقة بحذقها ، وكأنها في بعضها تتعمد على تجاريب ميخائيل أنجلو ، ولا عجب فان نزعتها كلاسيكية صميمة. وليس لنا أن نحاسبها على ذلك فنزعات الفنانين — لاعتبارات سيكولوجية — تختلف جد الاختلاف ، وانما تعنينا طاقتها الفنية وقوة تعبيرها الصادق . واذا كانت ايمي نمر مقتصدة في استعمال الالوان اقتصاداً كبيراً لأنها لا تحفل الآن بالزخرفة بل بالروح وقوة التعبير فقط ، فان مذهبها هذا كان ضمناً لعنايتها بالتشريح وبالجسم الانساني كما نرى بصفة خاصة في صورتين تمثلان النوم فهيما جرأة مع صدق في التعبير وسلامة وتناسب في أجزاء الصورة ، وان لحظنا الميل الى الضخامة العضلية وهو ذلك الميل المشهود في الفن الكلاسيكي . بيد أن هذه النزعة الكلاسيكية في الروح لم يصحبها عادة الاهتمام بالتفصيل ، ولو عنيت بالتفصيل البالغ لحدّت من استثارة خيال الناظر وتأملاته

الفنُّ الجميل جميلٌ والاتقانُ اتقانٌ مهما تباينت الاذواق ، والتنقيف الشخصي كفيلٌ بأن يُلهمنا مواطن الجمال حتى فيما لم نتعوده ، فليس الاعتراف بالجمال وقفاً على رضانا ، وليس عزوف ايمي نمر عن الروح الرومانطقية مما يجعلنا نبخسها حقها في صدق التعبير الفني والشخصية الفنية . وقد رأيت مشهداً في « درب الاربعين » (طريق قوافل الرقيق قديماً بين دنقلة وأسيوط) حيث العبيد وجاجيم الضحايا ، وهو رسم تجريبي غير كامل ومع ذلك فهو يستوعي الاهتمام بتركيبه وغرابته وبالاعتبارات النفسية العميقة التي اوحته . وقل مثل ذلك عن شغفها بصور العبيد والسود ، فقد لا نعشق هذه الصور لاعتبارات مختلفة ، الا لاعتبار الفن الخالص الحافل بالجهامة وظلام الحياة وآلامها ووحشيتها فانه كفيل باجتذاب عنايتنا بها . ومع هذا ألم تستخلص لنا ايمي نمر معنى الحنان الخالص في صورة النوبية وطفلها ثم ألم تحفل ببعض الموضوعات الانجيلية بروح جميل من الايمان ؟ فهي اذن لا تقصر فنها على تلك الموضوعات المكتئبة الغريبة لعجزها ، عن غيرها ، ولكن اختياراً لما توحيه ظروفها ، وورد فعل لنزعاتها القديمة وتعلقاً بالنماذج القوية التي تفسح المجال لبراعتها في تكييف الانوار والظلال . وكثير من الصور الكلاسيكية نُسيت ظروفها التفصيلية ومناسباتها الفكرية والعاطفية ولكن يبقى منها بعد ذلك الروح الفني المعبر الكشاف عن اسرارها الحيوية ، ومن اجله نمجدها

ولا نزاع في أن أمام فناننا القديرة ميادين كثيرة لبراعتها في المستقبل ، ولها من اقدامها وثقتها بمذهبها وبشعورها وتفاسيرها ما يكفل لها التقدم المطرد والاعتراف بأهميتها

احمد زكي ابو شادي

الصحة والزواج

اجمع الاطباء على وجوب منع المصابين بالامراض الزهرية المزمنة من الزواج . ذلك ان فتك هذه الامراض بالمتزوجين لما يقصر عنهُ الوصف . فهي من اعظم اللعنات التي تنتاب الازواج وتذهب بهنائهم . وكثيراً ما تضيع بهجة الحياة وتزول مسرات الزواج لما قد يلتشانه من الاثر في صحة المتزوجين ونسلهم وفي قوائم العقلية كذلك

فسلامة الزوجين من هذه الامراض شرط لازم . وعلى الذين يقدمون على الزواج ان يلزموا جانب الصراحة ويعترفوا بحقيقة حالتهم الصحية على وجه الاجمال سلامتهم من كل محظور ومحذور . ومن المستحسن تأييد هذا الاعتراف بشهادة من حكيم الاسرة . وفي الواقع ان القانون في بعض البلدان ينص على وجوب فحص طالبي الزواج ، لاثبات صلاحهم له من الوجهة الصحية . ومثل هذا القانون يجب نشره في جميع البلدان المتمدنة ، بحيث لا يباح لمن كان مصاباً باهاة جسمية طارئة او وراثية او بداء السل ، او ضعف القلب او ما اشبه ان يتزوج من دون ان ينذر زوجهُ والاَّ عُدَّ خادعاً وكان زواجه عرضة للالغاء . فاذا اعترف كل من طالبي الزواج للآخر بحقيقة حالهِ ولم يكتم عنهُ شيئاً ثم اتضح انهما مع ذلك لا يحتملان عن الزواج فذلك شأنهما وليس لاحد ان يتعرض لهما ، مع ان بعض دعاة اصلاح النسل يرون ان هذا من شأن الامة في الامراض الوراثية ، لان شأنهما الخاص ويجب على الامة ممثلة في الحكومة ان تمنعهُ لتمنع تكاثر المرضى والمصابين بالعاهات

ومن بواعث الاغتباط ان الامراض التي ثبت ثبوتاً قاطعاً انها وراثية ليست كثيرة . ومن فساد الرأي ان يحجم المرء عن الزواج خيفة ان يورث نسله الديابيطس (البول السكري) او حصر النظر او ضعف الاعصاب لان هذه الامراض ليست وراثية . ولكن عدد الامراض الجسمية والعقلية كثيرة جداً ومن المستحسن ان يستشير المقبل على الزواج طبيباً في امرها وان يبحث عن مصدرها ، وهل هي موروثة او طارئة . وقد يكون من الحكمة في بعض الحالات تعمد احداث العقم والامتناع عن النسل بحيث يكتفي كل من الزوجين بأن يعيش مع زوجهِ محروماً لذة النسل ومعتاضاً عنها ببهجة العيشة المنزلية الراضية

***

اذا طلب شاب ان يؤمن على حياته فحص فحصاً طبياً دقيقاً قبل ذلك . كذلك تطلب الحكومة مثل هذا الفحص ممن يطلب الانتظام في مصلحة من مصالحها . وهو عمل القومسيون الطبي هنا . وبعض الشركات الاجنبية في القطر المصري ، ومعظمها في بلدان اوربا واميركا تطلب من كل من يرغب في الانضمام اليها ان يعرض على طبيب الشركة . وليس يجد احداً في كل ذلك غضاضة او اهانة . وكذلك يجب أن يكون في امر الزواج

المرض امتحان

لقوة الرابطة الزوجية

المرض امتحان عظيم يكشف مواطن الضعف او القوة في العقد الزوجي . فاذا كان الحبُّ الذي يربط الزوجين حقيقيًّا فالمرض يقويه ويزيل جميع عوامل الخلاف والشحناء . واذا لم يكن كذلك ، اي اذا كان مؤسساً على الشهوة وحب الذات ، فان المرض يبرزه في حلتهِ الحقيقية . ومن الازواج من قد لا يكون الحب عندهم كثير الظهور ، وفي هذه الحالة يكون مرض احد الزوجين بركة لانهُ يعين على اظهار ذلك الحب الكامن . وليس غريباً ان يكون الحبُّ كامناً وان لا يقوى صاحبه على التعبير عنهُ فكأنهُ يقيم حول عواطفهِ اسواراً تحول دون الوصول اليها . وهذه الحال توهم المراقب عن كثب ان الحبَّ ميت بين الزوجين ، فينشأ من ذلك شيء من النفور الذي يسيء الافرج «سوء تفاهم» . فاذا اصيب احد الزوجين بمرض وقام الآخر بالعناية بهِ واظهار الحنان عليهِ ، زال ذلك ما بين الزوجين من نفور وفتور

بل ان الاشخاص الممتازين باظهار ما تكنُّهُ جوانحهم من الحب ، والذين يغالون في الاعراب عنهُ قد يوثق المرض اواصر حبهم ويزيد كلاًّ منهم تعلقاً بالآخر . ولقد يتفق ان تتوالى الامراض والمحن على اسرة من دون ان يكون ثمة سبب ظاهر . فينشأ عن ذلك شيء من الضيق قد يزيد في سوء حالة الاسرة ومصائبها . فمثل هذه الحالة قد تزيد في ارتباط الزوجين وتوثيق اواصر الحب بينهما ، اذ عند الشدائد تعرف الاخوان . واذا مرض الاولاد واحتاجوا الى العناية في الليل والنهار واشتد الخطر ولاح حبل الرجاء ضعيفاً ، فحينئذٍ يبرز الحب من مكمنهِ وتتحلى العواطف على اجلها . ثم ان الجهد الذي يبذل في تربية ولدٍ مصاب بعاهةٍ او علةٍ ورثها من احد والديهِ تقوّي روابط المحبة بين الوالدين . على ان الاهتمام بالولد العليل تجب ألاّ ينقلب الى ما يشبه الشفقة . وكذلك التعاطف الزوجي يجب ان يفصل بينه وبين الشفقة . وكثيراً ما تكون المؤاساة رباطاً قويًّا بين الزوجين واما الشفقة فانها تفصل احدهما عن الآخر لانها تشعر بوجود تفاوت بين المشفق والمشفق عليه . وليس اشق عليك من ان تكسب ودّ من اشفقت عليهِ

على ان المرض لا يقوي بالضرورة الرابطة الزوجية ، بل قد يضعفها احياناً . ولاسيما اذا كان ذلك المرض مزمناً يقضي بعزل المصاب وخدمته خدمة خاصة . وقد تكون هذه الخدمة عبئاً ماليًّا ثقيلاً على الاسرة يستنزف قواها . فضلاً عن ان مرض احد الزوجين قد يحول دون اشتراكهما في الاعمال والزيارات التي تقتضيها الحياة الزوجية . وهذه الحيلولة توسع شقة الفصل بين الزوجين فيستسلم المريض منهما الى مرضهِ ويلتمس الصحيح مناهج الحياة من غير طريقة الزوجية وهذا قد يفضي بهِ الى ادمان المسكر والميسر والتماس القوة الكاذبة وما يليها من العواقب

شوارجس فتاة جميلة

بعد اصابتها بصدمة شوهت جمالها

بين جمال الوجه وشجاعة النفس

ترى ماذا يكنُّ لي المستقبل ؟ كنت من شهر فتاة جميلة هادئة ارقص للحياة . وكنت قد فزتُ بالدعوة الى تمثيل دور صغير في شريط سينمي . لم يكن دوراً يباهى به . ولكن الكفاح الذي كافحته والجهاد الذي جاهدته قبل الفوز به جعلاه في نظري تحقيقاً لحلم من احلامي وخطوة اولى نحو هدفي وهو ان اصبح كوكباً متألقاً في عالم التمثيل السينمي . فكنت سعيدة به السعادة كلها

ولكن انظري اليَّ الآن . انني لا ادري ما اصبح وجهي بعد حدوث ما حدث. لانهم لم يسمحوا لي بعد ان انظر الى وجهي في المرآة . ولكنني اعلم ان ثغري الذي كان رطباً احمر كورقة الورد اصبح معوجّاً مشوّهاً . وفي خدي الايمن ندبة جرح عميق احسها بأناملي

كنت في سيارة مع صديقي جفري عائدة من حفلة راقصة . وكنت متهللة طروبة . واذا بالسيارة تصطدم فجأة بمصباح قائم في وسط الطريق . فسمعتُ وكأني في غيبوبة تأوه صديقي وما افقت الاّ وانا في مستشفى ورأسي مضمد بضمادات أكاد لا ارى من خلالها الاّ سقف الغرفة الابيض

ولعلي اغبط لان ساقي سليمتان فاستطيع ان امشي. ولان والديَّ حيّان فاستطيع ان اقضي دور النقه في بيتهما الريفي . ولانني ما زلت حية على كل حال

حياتي ! ما اشد الاختلاف بين حياتي بعد الصدمة وقبلها . في السنة الثالثة عشرة من عمري بدأت اعنى بشؤون الجمال . فعليَّ الآن ان انسى جميع هذه السنين وان انشأ نشأة اخرى

قال لي الطبيب الذي عالجني : يا ابنتي مضت عليك سنوات وانت تنظرين الى الحياة من نافذة ضيقة . وقد سحرك جمال ما رأيت لانك كنت في مقتبل العمر وعلى جانب عظيم من الجمال . والعالم يغدق عطاياه على المتصفين بالجمال لان الجمال يلسم في عالم يكثر فيه القبح والقتام . ولكن العالم يغدق كذلك على من اتصفوا باللطف والشجاعة والدماثة ولو لم يتصفوا بالجمال

فقلت محتجة : ولكن يا دكتور ، لم اقض ما مضى من حياتي كالفراشة متنقلة بين اطايب الروض. معتمدة على جمالي في الفوز بكل ما اريد . بل كافحت كفاحاً عنيفاً في سبيل تحقيق ما اصبو اليه

كنت لا ازال في السابعة عشرة لما تركت المدرسة بعد ان فزت بجائزة الجمال فيها . وانتظمت في معهد التمثيل لتعلم فنونه واساليبه . واما وقفت ساعات متوالية امام مكاتب التوظيف اطلب عملاً . ما اكثر الساعات التي قضيتها في البرد القارس انتظر دوري لافوز بمقابلة المسيطرين على شؤون السينما وكنت عند عودتي وقد انهك البرد والانتظار قواي ، اذهب توّاً الى دروس الرقص الكلاسيكي لتكون عدتي وافية متى اتيحت لي الفرصة . فما كاد الحظ يرمقني بنظرته فيتيح لي تمثيل دور صغير في

شريط سينمي حتى تكست هذه النكبة. هذا اضطرب صوتي وافرورقت عيناي بالدموع. فقال الطبيب: «انا اعلم يا بنتي انك كنت على اعظم جانب من الشجاعة في مواجهة الحياة وأملي ان تبقى هذه الشجاعة عندك حتى تفوزي بالغلبة وربت على يدي ومضى في سبيله يزور سائر المرضى. فأحسست صدها بشيء من الغبطة في نفسي. قال «املي ان تبقى هذه الشجاعة عندك حتى تفوزي بالغلبة» واعتقد انهُ عنى ما قال. أعتقد أنهُ اسف لوتر المرارة الذي ضربت عليهِ في كلامي معهُ كما آلمه ان يراني متألمة من اثر الصدمة والجروح التي اصبت بها. ولكن بوارق الامل والشجاعة تتراجع في الغالب أمام بواعث اليأس. واني لا ازال عاجزة عن أن أتصور كيف استطيع أن اتحمل كل هذا. كيف استطيع أن اصبر على نظرات الاشفاق في عيون صحبي اذ أخرج من المستشفى أو كيف احتمل تفرس الناس في وجهي عند ما أمشي في الشارع او أذهب في طلب عمل ما؟ اذ لابدَّ لي من العمل والاَّ طار صوابي

سهلٌ على الطبيب ان يقول لي أنهُ يجب عليَّ ان اكون طروباً. ولكن هناك فرق بين طرب نفس تبذل وسعها لتدرّع دروع الشجاعة، وذلك الطرب الذي يصدر عفواً كتغريدة العصافير. ما أجمل الحياة اذ كنت أتلقى ثناء الشبان واعجابهم، اذ كنت أستطيع ان أضحك معهم وأمازحهم، من دون أن أنسى ان الحياة في الحقيقة أمر جدي وجميل معاً

يغمرني أحياناً ضياء هذه الصور الباهرة ثم أفيق فأدرك كابوس الواقع

قد التغلب على كل هذا. فاني ما زلت في الثانية والعشرين من العمر. ولكنني اقلب رأسي الآن ذات اليمين وذات اليسار واقول يا ربي كيف استطيع ان اتحمل كل هذا؟ كيف؟

نصيحة لفتاة تخشى الحياة

كتبت فتاة الى محررة احدى المجلات النسائية ما يلي: انني اخشى الحياة. مات والدي من سنتين وكان اصدق اصدقائي علاوة على كونه والدي. وما كدت اتغلب على حزني حتى مرضت والدتي من نحو ستة اشهر. وأنا الآن مخطوبة لشاب ممتاز، وليس لي غيره في الدنيا. وهو يريد ان يقترن بي حالاً ولكنني اخشى ان اقبل لانني اخشى ان يسلبني الموت اياه. انا اعلم ان هذا الكلام يحملك على الضحك مني، ولكنني خائفة وجلة فماذا افعل؟

فردت المحررة ما يلي: كثير من الناس تأتي عليهم فترة في الحياة يحسون فيها بمثل ما تحسين. ويطلق الكتاب الدينيون على هذا الاحساس «ليل النفس الحالك». ولكنني واثقة بأنك سوف تخرجين من ظلام الليل الى وضح النهار. ان والديَّ كل انسان مصيرها الى الموت عاجلاً او آجلاً. ولكن الاحصاء يثبت ان الزوجين يعيشان معاً مدة طويلة في الغالب قبل ان يدرك الموت احدهما. فيجب ان تتعلمي الثقة بالحياة، وان تتطبعي بروح المغامرة، وان تعيشي في الزمن الحاضر بدلاً من ان تحصري فكرك وهمك في مخاطر المستقبل. إنسي الماضي ودعي المستقبل لله

الاعمال المنزلية

وما تقتضيه من الطاقة والعناء

عنيت جماعة من علماء اميركا بقياس الجهد الذي تقتضيه أعمال المرأة في تدبير شؤون بيتها من غسل ومسح وكنس وكي وخياطة وغير ذلك . ومقابلة كل عمل من هذه الاعمال بالآخر . وبحالة المرأة وهي مستريحة . وصنعوا لذلك آلة سموها مقياس حرارة التنفس أو مقياس الحرارة البدنية اذا اريد المعنى العام . وهو بالانكليزية Respiration Calorimeter

والآلة مؤلفة من غرفة ارتفاعها مترات وطولها متر وخمس وعرضها ٧٥ سنتيمتراً وجدرانها لا ينفذها الهواء . وفيها عدة أجهزة صغيرة منها جهاز لحفظ مجرى هوائي في الغرفة يجتمع فيه بخار الماء واكسيد الكربون اللذان تخرجهما المرأة التي تجرب التجارب بها . وفيها جهاز لمقياس مقدار الحرارة التي تتولد في الغرفة عند اجراء التجارب

وقد اختير لهذه التجارب فتاة نحيفة سنها ٢٢ سنة وطولها ٥ اقدام و٤ بوصات وثقلها بملابسها ١١٠ ارطال . وقد عرضت هذه الفتاة لثلاث وخمسين تجربة وكانت توزن عند انتهاء كل تجربة ولا تتجاوز مدة التجربة ساعتين كل يوم

وقد ظهر من هذه التجارب ان الفتاة كانت تنفق من جسمها وهي تعمل الاعمال الخفيفة كالخياطة والرفو ٩ وحدات حرارية في الساعة زيادة عما كانت تنفقه وهي في حال الراحة . وانها كانت تنفق ٥٠ وحدة حرارية في الساعة في الاعمال التي تستدعي تعباً كالغسل والكنس وتنظيف الغرف زيادة لما كانت تنفقه في حال الراحة

***

ومن غرائب هذه التجارب انهم لما جاؤا الى تجربة الغسل أمرت الفتاة ان تجري حركات الغسل جميعها ولكن من دون استعمال الماء لان وجود البخار في الغرفة يوقع الخلل في القياس . ومثلها غرابة عند محاولتهم قياس ما تبذله المرأة من الطاقة عند العناية بطفل من حيث ارضاعه وتغيير ثيابه وغسله . فانهم استكبروا وضع طفل يرضع معها في غرفة ضيقة خيفة ان يلم به مكروه فأعاضوها منه دمية تشبه في حجمها طفلاً محولاً اي ابن سنة . فظهر ان العناية بالطفل تقتضي من زيادة انفاق الطاقة نصف ما تقتضيه أعمال الغسل والكنس أي ان الزيادة كانت ٢٣½ وحدة حرارية مقابل ٥٠ وحدة حرارية في الحالة الاخرى

وعلى ذكر الاعمال العديدة التي يجب على المرأة عملها نذكر قول الشاعر : « الرجل يعمل من الشروق الى الغروب أما المرأة فعملها لا يفرغ »

بين طفل وعنكبة

[قطعة مختارة من الجزء الثاني من قصص علمية للاطفال تأليف كامل كيلاني وينتظر ان يصدر قريباً]

الطفل :

قد تأكل العنكبةُ العنكبا وتهلك الزنبارَ والعقربا
وكم بعوض في حبالاتها راح اسيراً يبتغي مهربا
تخدّرت بالسّم أعصابهُ وأثبت — في جسمه — المخلبا

***

وقد يصيد الضفدع العنكبا كما تصيد البومة الأرنبا
وتهلك القطةُ فأراً ، ولا تبقي على فرخ صغير حيا
وقد ألفنا كل هذا ، فلم نذعش له ، مهما بدا مُغْرِبا
لكنّ ما حيّر البابنا ان تأكل العنكبة العنكبا

العنكبة

ان تأكل العنكبةُ العنكبا أو تأكل الام ابنها الأنجبا
أو تأكل الآباء أبناءها أو تأكل الاخت أخاً أو أبا
أو تأكل الزوجات أزواجها فليس هذا حادثاً مُغْرِبا
أما ترى الاسماك قد شابهت في اكل ما تنجبه — العنكبا
تلتهم الكبرى صغيراتها ويأكل الحوت ابنه الاقربا

***

وانتم الناس — على رشدكم — صرتم — لأمثال الاذى — مضربا
لم ترحموا طيراً على غصنه رتّل لحناً شائقاً معجبا
ولم تغيثوا يائساً معدما ولم تقيلوا عاثراً مذنبا
وكم اكلتم لحم اخوانكم ميتاً ، ولم ترْعَوْهم غُيَّبا
فلا تعيبونا بأدوائكم فقد غدا مَنْ عابنا أعيبا

كامل كيلاني

تنظيم حياة الطفل

مبادىء جوهرية (١)

هناك عاملان جوهريان لتكوين خلق الطفل

اولاً : — يجب ألا تكبت ميوله وغرائزه ، بل يطلق له كل حرية لتنميتها وتقويتها

(ثانياً) يجب أن تساس وترشد وتدرب على كل عمل صحي يساعد على نمو الطفل . فاذا تركت هذه الميول حرة بغير قيد فان الطفل يصبح شهوانياً عنيداً ، واذا سحقت وتلاشت يصير عرضة لأمراض عقلية ، واذا ضبطت وارشدت يصير رجلاً ذا خلق قوي الدعامة . والأخلاق المتينة ما هي الا ثمار تهذيب الطبيعة وضبط العواطف . أما اذا حبست هذه الميول الاولى عند ظهورها فتفسد الأخلاق وتشوه ، كالتدم اذا وضعت في قالب فانها تفقد شكلها الطبيعي وتشوهه . واذا أنكرنا على الطفل حبنا وحمايتنا له في الطور الأول ، استولت عليه الكآبة وانقباض النفس (ميلنخوليا) في حالة الكبر ، والطفل الذي تسحق ارادته ربما تنتابه نوبات مؤذية مثل الخوف من الأذى أو القتل . واذا حرم من العطف الابوي فانهُ قد يصاب بالهستريا أو الشلل أو الألم . وأخيراً اذا سحقت الأنانية فيه واذكر عليه استقلاله الذاتي فانهُ يصير انساناً جافاً بغير ارادة أو أخلاق . ومن ناحية اخرى اذا لم يوجد ضابط ورادع صار الطفل شهوانياً وظل على طوره الاول وفي الطور الثاني يصير عنيداً لا يكبح جماحه ويكون ضحية لشهواته وأهوائه . وفي الطور الثالث يكون ضحية الامزجة والاهواء وعبداً لارادة الآخرين . وأخيراً تتكون فيه صفات خاطئة وأهواء ضارة يكتسبها من الاوساط البذيئة . امثال هؤلاء الاولاد يصيرون مجرمين واشقياء

وفي هذه المقالة نريد ان نبين كيف انهُ لو اعطيت الحرية الحقيقية مع ضبط النفس فان هذه الميول الاولية تظهر وتترعرع لانها المادة الخام التي منها تتكون وتنشأ الاخلاق . اما اذا كبتت فاننا فضلاً عن تعرضنا لامراض عصبية فاننا نفتقر الى الاخلاق افتقاراً شديداً

وها كم بعض المبادىء :

اولاً — تقوية روح الطاعة والاستسلام للوالدين

كل طفل خليق بالرعاية والعناية والعطف . انما الافراط في الحنان والتدليل يترك اثراً في النفس فيبقى طفلاً (حتى عند ما يصير رجلاً) في تصرفاته واعماله اليومية ، ولا يقدر على مواجهة الصعوبات التي تصادفهُ ولا تحمل المسؤوليات التي تلقى على عاتقه . كما ان انكار مثل هذا العطف على

(١) وهو جانب من مقال صبب كتبه الاستاذ هدفيلد استاذ علم النفس في كلية الملك بلندن ونقله ميلاد كدواني في كتابه الموسوم (اسرار الطفولة وخفايا الشباب)

الولد (اما لانه غير مرغوب فيه او لتفضيل آخر عليه) يبقى أثره في العقل الباطن وربما يؤدي الى كآبات مضنية عند ما يصبح رجلاً . واما تربية ميول الطاعة والثقة بالوالدين تربية صحيحة فانها تتحول الى ميزات في الاخلاق ذات قيمة عظمى . وهذه الميول هي التي تتحول بعد حالة العناد الى حالة الايحاء ثم الى حالة الاستسلام . وهو ليس استسلاماً جثمانيًّا بل نزولاً على اهواء والديه وخططهم العقلية وعندما يكبر يسر وينتبط بلعبه مع الاولاد الآخرين وباشتراكه معهم في رغباتهم . سواء خارج البيت او في المدرسة مع الرفاق . وبعد سن البلوغ يزج بنفسه في وسط الجماعة خاضعاً للقوانين التي تربطها ماديًّا وادبيًّا

وعند ما يكبر فان هذا الميل الاستسلامي يشعره بالنقص الذي لا يكمل الاّ في محبة الغير وفي حياة الاسرة . وأخيراً يرشده الخضوع والاستسلام الى المثل العليا التي تشاد عليها دعائم الاخلاق الفاضلة كالولاء للحق وللانسانية وللدين . وما كل هذه الميول الاّ ثمار الاستسلام الذي يعزى الى شعورنا بالضعف وحاجتنا الى الآخرين . ومما هو مشاهد في هذا الميل في الطور الاول انهُ أناني ، قوامه حماية الذات أما الطور الثاني فيتخذ شكلاً آخر هو الغيرية . ولذا يجب أن نفهم ان ميول التضحية وخدمة الغير في الطفل ليست نتيجة التدريب على الاستقلال الذاتي وانما هي اشباع ميوله للاستسلام والمحبة ، فاذا اهمل اشباع هذه الميول في الطور الاول فلا تتاح لها الفرصة للظهور في الطور الثاني وعليه يبقى الطفل أنانيًّا

مثال ذلك ، أب لهُ ابن وحيد يريد أن يجعل منهُ رجلاً . فانهُ بتربيته له تربية جافة واهمال عواطفه واعتبارها خيالية لا صحة لها ، وانكاره عليه حتى العطف والمحبة والحماية التي هي من حقوقه الطبيعية ، يحرمه من الشعور بالطمأنينة وتتربى فيه صفات الخجل والخوف من الحياة ويتصف بالجبن

أما الولد الذي تتغذى روحه بالاستقلال الذاتي وتتوافر ثقته بأبويه واستسلامه لهما فانه يحمل معه هذه الثقة في حياته العملية عند ما يشب ، ويكون قادراً على مواجهة الصعوبات والمشاكل حتى الموت

ثانياً — تنمية الميل الى ارضاء النفس

يؤول ارضاء النفس الى فرح والفرح الى سعادة لما يأتي : —

يبدأ اشباع النفس في الطفل في طوره الاول في النشاط والحركات الجثمانية مثل الرضاعة وعملية الهضم وازالة الضرورة وحركة أعضاء الجسد وبعد ذلك — في اثناء تكوين الارادة — يشعر بفرح في التعبير الحر عن النزعات الغريزية ، المصارعة وحب الاستطلاع والبناء . وأما اذا تجاوز الاشباع الى الحد المعقول في سني الطفولة الاولى فانه يصير شهوانيًّا عصبيًّا عند ما يكبر ، وعبداً للانفعال ، ومع ذلك فان لاشباع الميول والمشاعر في الطفولة قيمة جوهرية ، لان في اشباع هذه تكوين الوظائف الجسدية كالعادات وغيرها والفرح في النشاط الذي هو لذة الحياة . وكما أن رغبة ارضاء الحواس والمشاعر في دور الطفولة الاولى تنقضي ليحل محلها لذة التعبير عن العواطف والميول

في الدور الثاني ، فكذلك تتطور هذه الرغبة في السنة الثالثة أو الرابعة الى سعادة تتولد عن اتزان العقل وتناسقه . والسعادة — وشتان بينها وبين اللذة — تنتج عن اداء مجموعة الوظائف كاملة وليس عن هذه العاطفة او تلك . هي ثمار الشخصية كلها عاملة بكل عواطفها وميولها الى الغرض أو المثل الاعلى الذي تختاره النفس . ومن الجهة الاخرى اذا ضغطنا على ميول الطفل وعواطفه واحساسه وعودناه اللوم والتعنيف نشأ في موقف الزاهد الكاره للحياة الذي لا يشعر بأية سعادة حقة ، وفي احسن الحالات يكبر طفل كهذا انساناً كئيباً مغموماً لا يفعل شيئاً الا مدفوعاً باداء الواجب ليس الا . وأما في اسوأ الحالات فيكبر انساناً شاذاً شهوانياً ضالاً تسوقه تلك العواطف والميول المكبوتة إلى الانغماس في الضلالات الجنسية

ثالثاً — تنمية الارادة

يقصد بالارادة هنا طلب اشباع كل عاطفة غريزية ، مثال ذلك :

انهُ اذا اراد الطفل الحصول على شيء فلا بد ان يناله ، واذا اراد رؤية شيء او عمل شيء ما فلا مناص من تنفيذ فكرته ورغبته . ونحن نعلم حالة الطفل في السنتين الاولين . واذا كان عنيداً بطبيعته وخلقه فقد يكون سبب يأس الكثيرين من الوالدين . ومع هذا كله فلا حاجة لليأس والفزع ، ولا داعي يدعو الى معاملة الطفل بقسوة لا يستحقها ، لان هذه الحالة يتبعها الايحاء الذي يكون فيه مستعداً للاذعان ، وقبول رغبات والديه واهوائهم . والواجب في هذه الحالة ان يعامل الطفل بحزم وصبر وان تعطى البواعث والميول الطبيعية الفرص الكافية للتعبير عنها . واطلاق طفل كهذا على هواهُ يجعلهُ معتداً بذاتهِ عنيداً . وسحق ميوله يصيره عاصياً متمرداً ظاهراً او باطناً . وإنما الذي يفتقر اليهِ هو تنمية ميوله ودوافعه القوية . واذا اراد ان يعمل عملاً لا يليق فلا ينبغي ان تستعمل معهُ طريقة النهي كقولك « لا تعمل هذا او ذاك » لان هذه الطريقة تزيده رغبة في عمل الشيء ، بل يلزم ان تعلمهُ كيف يفعل فاذا اراد طفل في الثانية من عمره ان يستعمل سكيناً حادة علمه كيف يستعملها بان تقطع شيئاً امامه في الصحن . واذا اراد ان يتسلق شجرة ليأخذ ثمراً منها نخذهُ الى شجرة لا خوف عليها من التلف ودعه يتسلقها . ففي فعل ذلك اشباع لرغباته . ولو اراد اشعال تقاب الكبريت علمهُ ذلك . وعلى العموم دعه يعبر عن رغباته بشرط ان تعلمه الحيطة والحذر والتمييز بين المسموح وغير المسموح وبين الضار والنافع . وتكون انت في هذه الحالة قد تجنبت الخطر واعطيته فرصة لاشباع دوافعه وميوله القوية

وقد يفعل اشياء لا تستحسنها كأن يضرب الارض برجليه في حالة غضب او يتلف لعبة اخيه او اخته او يلحق بهما ضرراً بدنياً . فلعلاج ذلك إبحث اولاً عما اذا كان محقاً في ذلك او مخطئاً ورعا اخته الوديعة تستحق ذلك . ولكن لنفرض أن ذلك شقاوة منهُ فكيف نطبق مبدأنا ؟ ان الطريقة الرئيسية لرفع الطفولة والصعود بها الى المستوى الاعلى انما تتأتى بطريقة اللعب . لان اللعب هو التعبير

الطبيعي لنوافع الطفل الذي سيتحول الى عمل جدي عندما يكبر . ان الطفل يريد اللعب ولكن ربما يستعمل ميوله بشدة كما سلفنا قبلاً فعلينا ان نحولها الى اللعب . خذ لذلك مثلاً : اذا اراد الطفل ان يمزق اخته قل له : هاك الأسد — بدلاً من ان تقاصه — وتظاهر بالهرب من امامه عندئذٍ يتحول غضبه الى حالة اللعب . واذا نكث الارض برجله خذه من يده وارقص معهُ . واذا قلب ما شاده أخوه للعب واللهو فتظاهر بالوقوع أمامه وامرح . وفي هذه الحالة تكون قد اعطيت شعوره بالقوة فرصة للعب بدلاً من الكبح والضغط . ولكن لا بد لهذه القاعدة من شواذ فيجب مثلاً أن يحدد وقت نوم الطفل . وعند ما يحين ذلك الوقت يجب أن يترك اللعب ويذهب لفراشه . ويستعمل معهُ الحزم والجد . وأيضاً في حالة نزول المطر الغزير لا يجب ان يخرج من البيت . في هذه الحالات وغيرها الصرامة والحزم والشدة لازمة لتربيته والاَّ فان اللين والتساهل وعدم الصرامة تنشيء فيهِ عدم ضبط النفس وعدم الاذعان لارادتك ، لانهُ كما تكون أنت معه في الصغر ، هكذا يكون هو في الكبر . وتكون ارادته من ارادتك . فلنكن على حذر مع أطفالنا

تعليم البنات في انكلترة

في سنة ١٩٠٢ كان عدد مدارس البنات التابعة لمجلس المعارف ٩٩ مدرسة زادت الى ٤٠٥ مدارس سنة ١٩٢٥ وفي المدة عينها زاد عدد المدارس التي يتعلم فيها الذكور والاناث معاً من ١٨٤ مدرسة الى ٣٦١ مدرسة وزاد عدد التلميذات من ٣٣١٥٩ تلميذة الى ١٧٣٢٧٣ تلميذة اي خمسة امثال (والكلام هنا مقصور على المدارس الثانوية)

***

أما تعليم الصبية والصبيان معاً فتلك مسألة لا تزال موضع نزاع ومثار جدل بين الكثيرين فبعض المدارس التي يعلم فيها الجنسان قامت على اسس اقتصادية فقط في حين ان هناك مدارس اخرى يعتقد المشرفون عليها اعتقاداً راسخاً في وجوب تعليم الجنسين معاً منذ نعومة اظفارهما . وعلى كل فان الشطر الاكبر من المعلمين والمعلمات ويشاركهم في ذلك معظم الشعب الانكليز يجمعون على انهُ وان صلح تعليم الذكور والاناث معاً في سني دراستهم الاولى ، ثم بعد ذلك في الجامعات ، فانهُ من مصلحة الجنسين معاً ان يعلم كل منهما على انفراد في السنين تتخلل التعليم

[عن كتاب الانكليز في بلادهم]